تأثر المنهج التوليدي بالتراث العربي

الاستاذ الدكتور
عائد كريم علوان الحريزي
الباحث
ثائر عبد الفاضل الإبراهيمي
جامعة الكوفة – كلية الاداب

تأثر المنهج التوليدي بالتراث العربي

الاستاذ الدكتور
عائد كريم علوان الحريزي
الباحث
ثائر عبد الفاضل الإبراهيمي
جامعة الكوفة – كلية الاداب

تُعدُّ الصّلةُ بين النحوين العربي والتوليدي من المسائل الكبرى التي شغلت مجموعةً كبيرةً من الدّارسين العرب بين مؤيد ومعارض ، أمّا المؤيدون فتقاسمتهم الأهواء في ذلك ، فمنهم من أشار إلى وجود الشّبه بينهما ،ومنهم من تعدى الإشارة إلى إيراد أدلّة على هذا التشابه ، وذهب فريق منهم أبعد من ذلك إلى القول بأنَّ تشومسكي قد انطلق في نظريته من أصول وضعها علماء العرب قديماً محاولاً تتبّع المسار الذي سلكته هذه الأصول حتّى وصلت إلى تشومسكي ، ولكن قبل الخوض في هذه الآراء صار لزاماً توضيح نقاط التشابه بين الطرفين ، تلك النقاط التي كانت بمثابة الحجر ألقي في بحر المنهج التحويلي فانداحت من حوله دائرة الشكِّ في أصول هذا المنهج ،تبعتها دوائر دفعتْ كلَّ واحدٍ من أولئك الدارسين إلى الإدلاء بدلوه في هذا الموضوع .

أولاً : إشارات تعكس بعض أصول هذا المنهج في تراثنا العربي :

إنَّ مبدأي التوليد والتحويل وما انضوى تحتهما من مفاهيم اكتسبت شهرة واسعة بعد ظهور المنهج التوليدي على يد تشومسكي يقتربان من مفهومهما في الدرس العربي القديم ؛لما فيه من سمات غلبت على تفكير بعض نحاة العربيّة ،سابقين بذلك المنهج المذكور بمئات السنين ،وأبرزها :

١- الفطرة اللغويّة :

عرض البحث سابقاً لمصطلح الفطرة اللغويّة في المنهج التوليدي ، وحدُّها القدرة الكامنة في ذهن الإنسان على إنتاج الجمل ، وهي واحدة في كلِّ إنسان ،موجودة بفعل وجوده [١]،وإذا أنعمنا النظر في تراثنا العربي وجدنا لها صنواً تشاكله و نظيراً تشابهه ، فلا يخفى على حاذق ما أثارته مسألتا الاكتساب اللغوي و نشأة اللغة من اهتمام بعض اللغويين والفلاسفة والمتكلمين ،وإن حاولنا تتبع هذه الظاهرة في مظانها تكشّفت عن نصوص ذات قدر .

والمطّلع على تراثنا لَيَجدنَّ أول المفسرين إشارةً وأسبقهم إثارةً لهذه القضيّة مجاهد ابن جبر (ت١٠٣هـ) في تفسيره لقوله ﷻ :((وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا))[البقرة:٣١] إذ يقول فيها : أي أسماء ((ما خلق الله كلَّه ،فقال((أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ))﴿البقرة :٣١﴾ أي بأسماء هذه التي حُدِث بها آدم))(٢)،فجعل بذلك أصل اللغة ما خصَّ به اللهُ ﷻ الإنسانَ من معرفة الأسماء ،و شايعه في ذلك الطبري ت(٣١٠هـ) بقوله : ((إنَّها أسماءُ ذريته ،وأسماء الملائكة))(٣)، أمّا ابن فارسٍ (ت٣٩٥هـ) من اللغويين فقد شابه المفسرين عبارة ،وزاد عليهم بسطة في الإبانة ، بقوله : ((إنَّ لغة العرب توقيف ، ودليل على ذلك قوله جل ثناؤه﴿الاية السابقة﴾))[٤]، ومن المتكلمين مَنْ عمَّتْ مقولته ،فشمِلَتْ من سبقه ،وكانت قولَ الفصل الذي يستغنى به عمّا سواه في فطرتهم اللغوية ، إذ يقول الفارابي (ت٣٣٩هـ): إنَّ الناس((مفطورون على صورِ خلقٍ في أبدانهم محدودة ،وتكون أبدانهم على كيفيّةٍ وأمزجةٍ محدودة ، وتكون أنفسهم مُعدّة و مُسدّة[٥] نحو معارف وتصوّرات و تخيّلات بمقادير محدودة في الكميّة و الكيفيّة))[٦] فيتمّ نشوء اللغة و اكتسابها عند الفارابي من خلال قدرة فطريّة يدعوها بـ((الملكة الطبيعيّة))[٧] ،فلا تجد للفارابي ابتعاداً كبيراً عن مقالة التوليديين في كثيرٍ من أفكارها الرئيسة .

٢- البحث عمّا يسمى بـ(الأصل والفرع) للظاهرة اللغويّة :

الأصل لغةً :((أسفل كلِّ شيء وجمعه أصول لا يُكسّر على غير ذلك))[٨]،وفي اصطلاح النحاة : ما ينبغي أن يكون عليه التركيب وضعاً ،وغلب في الاستعمال ، فلا يمكن العدول عنه أو رفضه إلّا لمانع أو عارض أو غرض بلاغي[٩]، وإذا ما حدث ذلك العارض عدّوه فرعاً ،وبحثوا عن علّته ،وكثيرا ما تُصادف المطّلعُ نصوصاً تدلّ على تتبع علماء العربيّة للأصل في الظواهر اللغوية ولا سيما النحويّة ،و من ذلك قول سيبويه(ت١٨٠هـ) :((اعلم أنّهم يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ... فمما حذف وأصله في الكلام غير ذلك : لم يك ،ولا أدرِ ،وأشباه ذلك))[١٠]،فأشار سيبويه إلى الأصل في الكلام الذكر ، وأختلف النحاة في أصل المشتقات ،أفعلٌ هو أو مصدر ؟ فذهب الكوفيون إلى أنَّ المصدر مشتق من الفعل الماضي وفرعٌ عليه،وذهب البصريون إلى أنَّ الفعل مشتق من المصدر و فرعٌ عليه[١١].

وذهب بعض المحدثين إلى عَدِّ الأصول الثلاثة لأي لفظ (الجذر الثلاثي)هو أصل الاشتقاق ؛ لأنَّ كُلّاً من المصدر والفعل الماضي مشتق منها[١٢] ، ووضع السراج (ت٣١٦هـ)كتاباً اسماه (الأصول في النحو) أكثر فيه الإشارة إلى الأصل في الكلام والألفاظ [١٣]،و يقول السيرافي (ت٣٦٨هـ) : ((إنَّ الأفعال إنَّما شاركت الأسماء في معاني هي للأسماء دون غيرها ؛لأنَّ الأصل في الصفات والأخبار ... هو الاسم و الأفعال داخلة عليه))[١٤]، وما هذه الإشارات إلّا غيضٌ من فيضٍ يدلّ على العناية الكبيرة لجهابذة العربيّة بمسألة الأصل و الفرع ، أمّا أبرز سمات التشابه بين النحويين العربي والتوليدي - فيما يخصّ الأصل - فالآتي :

أ- التزام الأصل في الرتبة تقديماً و تأخيراً ، و الرتبة هي ((الموقع الذّكْرِي للكلمة في جملتها فيقال: رتبة الفاعل التقدم على المفعول ، ورتبة المفعول

التأخر عن الفاعل ... فإن تقدّمت الكلمة في الجملة بحسب رتبتها المقررة لها قيل إنَّها متقدمة رتبة ، وإن تأخرت عمّا هو مقرر لها قيل إنَّها متأخرة رتبة))[١٥]، وهذا يماثل عنصر الترتيب[١٦]عند التوليديين ؛لأنّ حدَّه عندهم تغييرُ مواقع بعض التركيب بتقديم لفظةٍ أو تأخيرها ، شريطة أن لا يُخِلّ بتركيب الجملة العامّ ومعناها ، أي ألّا يجعلها جملة غير صحيحة نحويا ودلاليا ، أو كما يعبّرون عنه (غير أصولية) .

ب-التزام الأصل في الذكر و الحذف ، الذِّكْرُ وجود كلمة على جهة التذكير بالمعنى[١٧]،والحذف الإسقاط، ومنه: حذفتَ الشّعر إذا أخذت منه[١٨]، ((واصطلاحاً إسقاط جزء الكلام أو كلّه لدليل))[١٩]،وقد أشار إليه سيبويه في غير موضع من كتابه [٢٠] مؤكداً أنَّ الأصل في الكلام الذكر والحذف فرع عليه[٢١]،وعدّهُ ابن جني (ت ٣٩٢هـ) باباً من أبواب الشجاعة في العربية[٢٢] ،وقال فيه الجرجاني ت(٤٧١أو٤٧٤هـ):((هو باب دقيق المسلك لهُ سماته المتفردة التي تجعله شبيهاً بالسحر))[٢٣]، وكثيرٌ من تحدث عن هذه الظاهرة من علماء العربية ، ومن ذلك ((أنَّك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت : عبد الله وربي ،كأنك قلت ذاك عبد الله ،أو هذا عبد الله))[٢٤].

أما في المنهج التوليدي فنجد الحذف عنصرا مهمّاً من عناصر تحويل الكلام من البنية العميقة إلى البنية السطحيّة ، ((والطريقة التي يقدمها التوليديون في تفسير ظاهرة الحذف نفسها التي قدمها النحو العربي))[٢٥] ، ويعنون به : أيُّ نقصٍ في الجملة النواة التوليدية -الاسمية أو الفعلية- لغرض في المعنى، وتبقى الجملة تحمل معنى يحسن السكوت عليه ،وتحمل اسمها [٢٦] ،الذي كان لها قبل أن يجري عليها التحويل[٢٧].

ج- الأصل و الفرع عامة: روي عن ابن جني ذهابه إلى أنَّ الفروع هي ما تطلب العلامات ((بدليل أنك تقول في المذكر قائم ، وإذا أردت تأنيثه

قلت قائمة ... وتقول رأيت رجلاً فلا يحتاج إلى علامة ، وإن أردت التعريف أدخلت العلامة فقلت رأيت الرجل فأدخلت العلامة في الفرع الذي هو التعريف ولم تدخلها في التنكير))[٢٨] لذا نجد الكتب تذكر أنَّ المفرد أصلٌ والمثنى والجمع فرعان عليه[٢٩]، والتذكير أصل والتأنيث فرع عليه[٣٠] ،والفعل(قال) أصله (قول) ،و(اصطبر) أصله (أصتبر) ، وغيرها من مواضع القلب و الإبدال ، ((وهكذا يبحث النحاة العرب عن الأصل ويتابعون تحوله ، وتولد الفرع عنه))[٣١].

٣- عدم الاكتفاء بوصف الظواهر اللغويّة :

إن كان تشومسكي قد أنتقد الوصفيين لاكتفائهم بوصف الظواهر اللغويّة ،فإننا نجد لعلماء العربية محاولات كبيرة لتفسير الظواهر اللغويّة وتَلمُّس الأسباب التي أدّت إليها ،أي أنّهم لم يكتفوا بوصف ظاهر الكلام (البنية السطحية) فقط ، بل حاولوا الوصول إلى ما وراء الظاهر من معانٍ ، من ذلك ((ما أولعوا به من تعليل فقد كانوا لا يقنعون بالوقوف عند البنية السطحية للّغة ،وإنّما يبحثون عمّا وراءها من علل وأسباب))[٣٢]، فعلى سبيل المثال قول احدهم لمن يأتي من السفر (خيرَ مَقدَم) ،إذ وردت لفظة (خير) منصوبة ،وعلّل سيبويه ذلك بقوله : ((ينتصب على إضمار الفعل المستعمل إظهاره ...فكأنه بناه على قوله: قدمتَ ،فقال :قدمتَ خيرَ مقدم))[٣٣] ،ومنه قوله ﷻ:((وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا)) [النحل: ٣٠﴾ ، فعند ملاحظة مقول القول في الآية الكريمة نجدها متكونة من لفظة واحدة فقط هي (خيرا) فعللوا ذلك بحذف الفاعل وفعله ، وأنَّ الأصل في الكلام : ((أنزل ربنا خيرا))[٣٤] ،وما يُعدُّ هذا إلّا مظهراً من مظاهر البحث عن البنية العميقة في التراث العربي.

٤- التقدير والتأويل :

التقدير في اللغة من (قدر) و ((قَدْرُ الشيء مَبلَغَهُ ... وهو بسكون الدال وفتحها في التهذيب والمجمل))[٣٥]، واصطلاحاً هو ((نيّة الشيء وتصوّر وجوده ،وكثيرا ما يستعمل في المواقع التي يقع فيها الحذف أو التي تحتاج فيها الكلمات إلى ما يكمّل معانيها))[٣٦] .و يُعدُّ التقدير من الأمور البارزة التي قام عليها النحو العربي ، فلم يقف علماء العربيّة عند ظاهر اللفظ بل راحوا يقدرون وجود بعض الألفاظ التي لم يصرح بها النص ؛جريا وراء العامل واستقامة قواعدهم النحوية تارةً ،وبحثاً عن استقامة المعنى تارة أخرى ، ومثال الحالة الأولى قوله ﷻ : ((وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ))﴿التوبة: ٦﴾ ؛ إذ نجد جمهور النحاة [٣٧]يقدرون بعد (إنْ) فعلاً مضمراً يفسره الفعل المذكور ،لتستقيم قاعدتهم النحويّة في كون (إنْ) مختصّة بالأفعال من دون الأسماء [٣٨]، ومثال الحالة الثانية قوله ﷻ :((كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ)) ﴿القيامة:٦٤﴾ ،وقوله ﷻ : ((فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ)) ﴿الواقعة:٨٣﴾ فقد قدروا الفاعل في الآيتين الكريمتين بلفظة (النفس) ؛ ((لدلالة ذكر الحلقوم والتراقي عليها))[٣٩].

ويرى الدكتور نعمة رحيم العزاوي أنَّ التقدير ((من أبرز ملامح المنهج التحويلي في تفكير النحاة العرب ... فالمستثنى في مثل قولنا:((قام الطلاب إلا خالدا)) ليس منصوبا عند بعضهم بـ (إلا) بل هو منصوب بفعل كامن في ذهن المتكلِّم تقديره(استثني)، أو منصوب بـ(أن) مضمرة ،فكان أصل التعبير أو بنيته العميقة(قام الطلاب أستثني خالدا) و(قام الطلاب إلّا أن خالدا لم يقم)))[٤٠] ، ويوازن الدكتور محمود سليمان ياقوت بين مصطلح (التحويل) ومصطلح (التقدير)،فيقول: إنَّ مصطلح التحويل يُعدّ الأساس الأوَّل في العمليّات النحويّة التي نجدها عند التوليديين ،فهناك التحويل بالاستفهام

،والتحويل بالنفي ،والتحويل بالاختصار ،والتحويل بواسطة البناء للمجهول ،والتحويل بواسطة السؤال الذي إجابته (نعم)أو(لا)،وغير ذلك ،ويندرج تحت مصطلح التحويل مصطلحات (البنية العميقة) ،و(البنية السطحية)،و(الأصل المقدّر) ،لذلك يمكننا أنْ نقولَ تجوّزاً إنَّ مصطلح التحويل يساوي مصطلح التقدير[٤١] ،ويؤكد الدكتور عبده الراجحي أنَّ قضية التقدير التي لقيت نقداً عنيفاً من الوصفيين ، عادت الآن لتكون شيئاً مقرراً ومؤكّداً في التحليل النحوي عند التحويليين [٤٢].

أمّا التأويل في اللغة فيقول الفراهيدي : آلَ بمعنى رجع [٤٣]،و((أوّل ،ابتداء الأمر وانتهاؤه ،أما الأوّل ،فالأوّلُ ،وهو مبتدأ الشيء ... ومن هذا الباب تأويل الكلام ،وهو عاقبته وما يؤول إليه ،وذلك قوله ﷻ :((هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ))[الأعراف:٥٣﴾. يقول : ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم)) [٤٤]، واصطلاحاً هو ((نقل ظاهر اللفظ من وضعه إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ))[٤٥] وعرّفه ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) بأنّه ((إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازيّة من غير أن يُخلَّ ذلك بعادة لسان أهل العرب في التجوّز من تسمية الشيء بشبيهه ، أو بسببه ، أو لاحقه ، أو مقارنه ، أو غير ذلك من الأشياء التي عُدّت في تعريف أصناف الكلام المجازي))[٤٦] ، و من ذلك ما ذهب إليه النحويون في باب تمييز الجملة ،إذ تأولوا قوله ﷻ : ((قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا))[مريم:٤﴾ بقولهم إن تمييز الجملة هو ((رفع إبهام ما تضمنته من نسبة عامل - فعلاً كان أو ما جرى مجراه من مصدرٍ أو وصف أو اسم فعل - إلى معموله من فاعل أو مفعول نحو (طاب زيداً نفساً) ،و(وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا) فالتمييز محوَّل عن الفاعل و الأصل طابت نفسُ زيدٍ ، واشتعل شيبُ الرأسِ))[٤٧] ،والمتابع لعملية تحوّل البنية العميقة إلى البنية السطحيّة يَجِدُ

صميمَها التأويلَ الذي قال به نحاة العربية قديماً ؛ لأنَّ كِلاهما (التحويل والتأويل) يعتمد المستوى الدلالي لتوضيح التركيب الخارجي للعبارة ،أي أنَّ ((الأساس المزدوج الذي قال به نحاة العرب (التعبير والتأويل) هو نفس الأساس[٤٨] المزدوج الذي تنادي به المدرسة التحويلية (التركيب الخارجي و التركيب الداخلي) ،والجانب النظري لكلٍّ من الاتجاهين واحد ،وهو الاستعانة بالمعنى في تفسير التركيب الخارجي للعبارة))[٤٩].

ويؤكّد بعض الدارسين حضور مفهوم التحويل في أذهان نحاة العربيّة عند معالجتهم للتراكيب الإسناديّة المحوّلة ، ((وجاء التعبير عنه بطرقٍ مختلفة من نحو قولهم (أصله كذا) ،أو (قياسه كذا) ، أو (هو على تقدير كذا) ،أو (تأويله كذا) ،أو(على نيّة كذا)، فهي كلُّها تعني أنَّ هناك بنية عميقة وراء البنية السطحيّة المحوّلة))[٥٠].

٥- استقامة الكلام :

عُني علماء العربية بتراكيب الكلام منذ نشأة علوم العربية ،فذا سيبويه يسمي بابا من كتابه بـ((باب الاستقامة من الكلام والإحالة))[٥١] ، يقسّم فيه الكلام على خمسة أقسام :((فمنه مستقيم حسنٌ ومحال ،ومستقيم كذب ،ومستقيم قبيح ،وما هو محال كذب ،فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتُك أمْس وسآتيك غداً ،وأمَّا محال فأن تَنقض أوَّلَ كلامك بآخره فتقولَ أتيتك غداً وسآتيك أمس ،وأما المستقيم الكذب فقولك حَمَلتُ الجبلَ وشربت ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك : قد زيداً رأيت ،وكي زَيدٌ يأتيك ،وأشباه هذا ،وأما المحال الكذب فأن تقول سوف أشرب ماء البحر أمسٍ))[٥٢] ، وعقد ابن فارس بابا لاستقامة الكلام أطلق عليه ((مراتب الكلام في وضوحه وأشكاله))[٥٣] جاء فيه : ((أما واضح الكلام – فالذي يفهمه كلُّ سامع عرف ظاهر كلام العرب .كقول قائل :

شربت ماءً ، ولقيت زيداً ، وكما جاء في كتاب الله جلَّ ثناؤه من قوله : ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ))﴿المائدة: ٣﴾ ... أمّا المُشكل فالذي يأتيه الإشكال من غرابة لفظه ،أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته ،أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود ،أو يكون وجيزاً في نفسه غير مبسوط ،أو تكون ألفاظه مشتركه))[٥٤].

وإذا ما أنعمنا النظر في (دلائل الإعجاز) للجرجاني نجده يُدخل مفهوم استقامة الكلام في نظم الكلام فيقول : ((واعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمله على قوانينه وأصوله ،وتعرف مناهجه التي نُهِجتْ فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رُسِمتْ فلا تُخلَّ بشيءٍ منها))[٥٥] ، وكأنه يريد الشروط التي بها يُعَدّ الكلام مستقيماً ، أي أنَّ مفهوم النظم عنده يقترب من مفهوم الاستقامة عند سيبويه ،فكلاهما يريد بمصطلحه وضع الكلام وما يتفق مع علم النحو ، و تابع السكاكي(ت٦٢٦هـ) عبد القاهر في قوله فقال : النحو((أن تنحو كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب ، و قوانين مبنيّة عليها ليحترز من الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية))[٥٦] فقد أكّد أهمية دراسة المعنى اللغوي ،ولا يكون ذلك عند الجرجاني و السكاكي بعده إلّا بتمام البناء النحوي واللغوي .

وهذه الاتجاهات في عمومها هي ما انتهى إليه تشومسكي في منهجه ،فكلُّ ما ذُكِر سابقاً يدور في فَلكٍ واحد مع ما قصده بـ(الأصوليّة) ؛ لأنَّ الجملة الموافقة لقواعد اللغة أصوليّةٌ عنده ،وما انحرفت عن تلك القواعد تكون غير أصولية ، سواء كان الانحراف في الدلالة أم في التركيب أم في الأصوات[٥٧]،ولبيان هذا المفهوم وشرحه جاء التوليديون بالمثال الآتي :

(بشدّة تنام الخضراء التي لا لون لها الأفكار)[٥٨] فقالوا إنَّ هذه الجملة بلا معنى ولا انتظام ،فهي ليست جملة نحوية[٥٩] (غير أصوليّة) ، وهذا يماثل تماماً ما جاء به عبد القاهر بقوله : ((وإن أردتَ أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أيِّ كلام شئتَ وأزلْ أجزاءه عن مواضعها وضَعْها وضعاً يمتنعُ معه دخولُ شيءٍ من معاني النحو فيها فقل في ❖ **قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيْبٍ وَمَنْزِلِ**[٦٠] ❖ : من نبك قفا حبيب ذكرى منزل ، ثم انظرْ هل يتعلَّق منك فكرٌ بمعنى كلمة منها ؟))[٦١]، و بذا يتضح للقارئ الشبه في أوضح مجاليه ، وأبدع مرائيه ، بين مفهوم استقامة الكلام في التراث العربي ، ومفهوم الأصوليّة في المنهج التوليدي ، فيغري الدارسين للقول بأخذ المنهج التوليدي عن التراث العربي .

٦- مستويات الأداء اللغوي :

عُنيَ النحاة العرب منذ بداية دراستهم للغة بمستويات الكلام فدرّجوه درجات بحسب إبانته وفصاحته ، وعند تقعيد قواعد النحو((لم يُقعَّد للعربيّة كما يتحدثها أصحابها ، وإنّما قعِّد لعربية مخصوصة تتمثّل في مستوى معيين من الكلام هو في الغالب شعر ،أو أمثال ،أو نصٌّ قرآني))[٦٢]،أو حديث نبوي شريف ؛ذلك أنَّ علماء العربية كانوا ينتخبون من القول أفصحه ،ومن الأعراب أنآهم عن الحضارة ،وأكثرهم إيغالاً في البادية ، لذا نجد سيبويه يذكر درجات للكلام في كتابه ،وإن لم يجمعها تحت عنوان واحد ، فيحكم على بعض الكلام بقوله: ((جيد بالغ)) ،و((عربي)) ،و((عربي جيد)) ،و((جائز حسن)) ،و((خبيث يوضع في غير موضعه)) ،و((قبيح)) ،و((ضعيف خبيث)) ،و((قبيح ضعيف))[٦٣] ، وكذا نجد ابن دريد (ت٣٣١م)في جمهرته فكأنه قاضٍ يفصل بين المتنازعين بالحجة والدليل فتارةً يرفع من شأن الكلام فيحكم بأنه ((عربي الفصيح)) ،و((من اللغة الصحيحة)) ،و((الفصيح)) ،وتارةً يحط من قدره و يسفّهه بقوله:((لا أحسبها لغةً عالية)) ،و((لغة رديئة))[٦٤].

إنَّ قدرة سيبويه و ابن دريد على إطلاق الأحكام على الكلام هي ذاتها (الحدس) في المنهج التوليدي ، لكونه ((مقدرة المتكلم على أن يدلي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة من حيث هي تؤلف جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة))[٦٥] ، من جانب آخر نجد سيبويه و ابن دريد في أحكامهما المذكورة قد وصفا بصورة دقيقة مدى تقبل أبناء اللغة للكلام ،وهذا يماثل مفهوم (تقبل الجملة) عند التوليديين ، إذ يبيّنه تشومسكي بقوله : ((إنّ الجملة التي يقبلها المتكلّم أكثر مما يقبل غيرها ،هي الجملة التي يحتمل ورودها أكثر من غيرها ... والتي هي اقل خشونة من غيرها ... ويتجنب المتكلّم استعمال الجمل التي لا يقبلها ويستبدلها في كلامه بجمل معادلة قدر الإمكان))[٦٦] ،ويمكن عدَّ ذلك مما تأثر به المنهج التوليدي بتراثنا اللغوي المشرق.

٧- الدلالة القطعية والاحتمالية :

تقسّم الجمل بحسب دلالتها على قسمين ،الجمل القطعيّة ،و الجمل الاحتماليّة ،فالأولى ما كانت على معنى واحد لا تحتمل غيره نحو قوله ﷻ:((ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ))﴿الصافات:١٢٦﴾ ،والثانية ما احتملت أكثر من معنى[٦٧] على نحو ما ذكره سيبويه بقوله : ((ما أنتَ وعبدُ الله ... كأنك قلت ما أنت وما عبدُ الله وأنت تريد أن تحقِّر أمرَه أو ترفع أمره)) أي ما شأنك وهذا العظيم ، أو ما شأنك وهذا السفيه ، ويقول الطبري في تفسيره :((تقول (حلف أن يضربك) فيكون معناه : حلف لا يضربك ،وحلف ليضربنَّك))[٦٨] لكون (أن)في هذه الجملة تفسّر بطريقتين الأولى نافية ،والثانية مؤكدة [٦٩]، ومن هذه الجمل قوله ﷻ:((وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا))﴿النساء:٤٦﴾ فيجوز ((أن يكون المعنى فلا يؤمنون إلّا إيمانا قليلا ... ويجوز أن يكون المعنى

فلا يؤمنون إلّا قليلا منهم))[٧٠]، ويجوز أنهم آمنوا وقتاً قليلاً ،ثمّ ما لبثوا أن ارتدوا عمّا آمنوا به ، وقد اصطلح تشومسكي على ما ورد في تراثنا العربي من دلالة القطع والاحتمال في الجمل بـ(غموض المعنى) وفسّره بالمثال الآتي: (سمعت الحُبَّ يهمس بشفتي سلمى في آذان نفسي)[٧١] فهذه الجملة ((قد تعني أنَّ الحُبَّ يهمس كلمة (سلمى) في آذان نفس الكاتب ، و قد تعني أن الحُبَّ يهمس أن سلمى موجودة في آذان نفس الكاتب ،و قد تعني أن الحبَّ يهمس بواسطة شفتي سلمى في آذان نفس الكاتب))[٧٢]، فهذه لا جَرَمَ بضاعتنا رُدّت إلينا ،فلا يخفى على حذرٍ ما أفادته أقوالهم من تقارب كبير بين آراء علماء العربيّة قديما ،وما ذهب إليه أولئك في الجمل احتمالية المعنى ، فتكفي القارئ موازنة بسيطة بين أقوال علماء العربية السابقة ،وأقوال التوليديين لبيان ذلك الشبه الذي قد يصل إلى حدّ النقل في بعض الأحيان كما هو الحال في هذا الموضع.

٨- اللغة و الكلام :

تنبَّه علماء العربية إلى الفرق بين مقدرة الإنسان على استعمال لغته (اللغة)،والاستعمال الآني لهذه المقدرة (الكلام)، ومن ذلك قول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) في مقدمته : ((إنَّ صناعة العربيّة إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ،فهو علم بكيفيّة لا نفس كيفيّة))[٧٣] وقد أشار إلى المقدرة اللغويّة، ثمَّ أعقب ذلك بتوضيح مفهوم الاستعمال الآني للغة (الكلام) فذكر أنّه: ((بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل أنْ يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكتها في التعبير عن بعض أنواعها : الخياطة هي أن يدخل الخيط في خَرتِ الإبرة ثم يغرزها في لفقي الثوب مجتمعين ويخرجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ثم يردّها إلى حيث ابتدأت ،ثم يتمادى على ذلك إلى آخر العمل ويعطي صورة الحبك والتشبيت والتفتيح وسائر أنواع

الخياطة وأعمالها ،وهو إذا طُولِب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئا))[٧٤] فنجده قد شبّه العارف بقوانين مقدرته اللغويّة من دون إجادة في استعمالها بمن يعرف صنعة ما علما من دون تجربة فيها ، ثم يفرق بين المصطلحين قائلاً : ((إنَّ العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل ،ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة في صناعة العربيّة المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه ... أخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللحن ولم يجد تأليف الكلام))[٧٥] .

أمّا التوليديون فقد عبّروا عن اللغة و الكلام بمصطلحي (الكفاية اللغوية والأداء الكلامي)؛ فعدوا الأولى ((المقدرة على فهم وإنتاج الجمل))[٧٦] ، و الآخر ((الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معيّن))[٧٧]، فما الذي يَفْرقُ بين ما جاء به الطرفان؟ والجواب لا فرق ؛ لانَّ أقوال التوليديين تحاكي ما قاله ابن خلدون في مقدمته ،وهذا ما يعاضد و يؤازر تأثرهم بالتراث العربي .

٩- البنية العميقة والبنية السطحيّة :

لعل الجرجاني أول من تطرّق لمفهومي البنيتين العميقة والسطحيّة من علماء العربية ،ومن يرجع لكتابه (دلائل الإعجاز) يجده قد عالج موضوع البنيتين المذكورتين على نحو ما ألفناه عند تشومسكي في آرائه [٧٨] ،وذلك عند تحليله للجملة الآتية :(ضربَ زيدٌ عمراً يومَ الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له) إذ ذكر : ((أن المفهومَ من مجموع الكلم معنًى واحدٌ لا عدّةُ معانٍ وهو إثباتُك زيداً فاعلاً ضرْباً لعمرْو في وقتِ كذا وعلى صفة كذا ولغرض كذا ولهذا المعنى تقول إنه كلام واحدٌ))[٧٩] وهذه إشارة غاية في الوضوح للبنية العميقة التي اشتقت منها الجملة المذكورة وهي إسناد الفعل (ضرب) للفاعل (زيد) .

ويقترب الجرجاني كثيرا من معنى الجملة السطحية بقوله : ((وذلك أنَّا لا نعلمُ شيئاً يبتغِيه النّاظمُ بنظمِه غيرَ أنْ ينظرَ في وجوهِ كلّ بابٍ وفُروقه فينظرُ في

الخبرِ إلى الوجوهِ التي تَراها في قولك زيدٌ منطلقٌ و زيدٌ ينطلقُ وينطلقُ زيدٌ و منطلق زيدٌ و زيدٌ المنطلقُ و المنطلقُ زيدٌ و زيدُ هوَ المنطلقُ و زيدٌ هو منطلقٌ وفي الشرطِ والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك إنْ تخرجْ أخرجْ وإن خرجتَ خرجتُ وإن تخرجْ فأنا خارجٌ وأنا خارجٌ إن خرجتَ وأنا إنْ خرجتَ خارجٌ ... فيَعرِفُ لكلٍّ من ذلك موضعَه ويجيءُ به حيثُ ينبغي له))[٨٠] إذ يرى في كل وجه من وجوه تقليب الجمل التي ذكرها بنيةً سطحيّةً تختلف عن غيرها ، وتضمُّ معنى مترتّباً في نفس القائل يختلف عن معنى باقي الوجوه التي ذكر ، وهذا عينه ما جاء به المنهج التوليدي .

١٠- الفضلة :

قسّم النحاة الكلام العربي على عمدٍ وفَضْلات ، وقالوا أنَّ ((الفضلة خلاف العمدة ،والعمدة ما لا يستغنى عنه كالفاعل ،والفضلة ما يمكن الاستغناء عنه كالمفعول به))[٨١] ، ويؤكد الجرجاني الفرق بين العمدة و الفضلة بقوله : ((وذلك أنك إذا قلتَ ضرب زيدٌ عمراً يومَ الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له فإنك تحصلُ من مجموع هذه الكلم كلِّها على مفهومٍ هو معنى واحدٌ لا عِدَّةُ معانٍ كما يتوهَّمه الناسُ ... فينبغي لنا أن ننظر في المفعوليّة من(عمرو) ،وكون (يوم الجمعة) زماناً للضرب ، وكون (الضرب) ضرباً شديداً ، وكون (التأديب) علَّةً للضرب ، أيتصور فيها أن تُفرَدَ عن المعنى الأول الذي هو أصلُ الفائدة وهو إسنادُ ضَرَب إلى زيد وإثباتُ الضَّرْبِ به له حتى يعقلَ كونُ عمرو مفعولاً به وكونُ يوم الجمعة مفعولاً فيه وكونُ ضرباً شديداً مصدراً وكونُ التأديب مفعولاً له من غيرِ أن يخطُر ببالك كونُ زيد فاعلاً للضربِ))[٨٢] ، أي أنَّ الجرجاني يُرجِع المعنى إلى الجملة الإسنادية البسيطة (جملة المسند و المسند إليه)التي تتبعتها المعاني المتعلقة بها من مفعول وظرف مكان وزمان وغيرها .

وقد صدر التوليديون في تقسيمهم للكلام من الموضع نفسه الذي صدر عنه علماء العربية ؛لأنَّهم رأوا للكلام أصلاً أو بنيةً العميقةً متكوّنةً من ركني

الإسناد ،وما زاد على ذلك الأصل أطلقوا عليه مصطلح (الزيادة) ،وهي ((ما يضاف إلى جملة النواة من كلمات يعبّر عنها النحاة بالفضلات أو التتمّات أو غير ذلك ، ويعبّر عنها البلاغيون بالقيد ، يضاف إلى الجملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى))[٨٣]، فبذلك تساوى مصطلحي الفضلة في التراث العربي والزيادة في المنهج التوليدي ، مع وجود فضلٍ لمصطلح الفضلة أنه في الزمان أسبق ،و في التاريخ أعرق، فلا يتوهم متوهمٌ أنَّ لما جاء به منهجهم طَولاً على تراثنا اللغوي ؛ لأنَّ له في ظاهرِه شهرة ،وله في باطنه جَسْرة على موروثنا اللغوي.

١١-العامل النحوي :

عرض علماء النحو قديما لقضية العامل بالدرس و الشرح ، ويُعدّ عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي ت(١١٧هـ) ، مبتدع هذا المنحى في الدرس النحوي ، على وفق ما رواه ابن سلام بقوله : ((وكان أوّل من بعج النحو ومد القياس والعلل))[٨٤] ،واتسع القول في العامل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٥هـ) ،و الناظر في كتاب سيبويه يجده قد أدار بحوث كتابه على فكرة العامل ، ومنه قوله : ((وإنّما ذكرتُ لك ثمانية مجار لأفُرقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدثُ فيه العاملُ - وليس شيءٌ منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغير شيء))[٨٥]، ثم تبعه النحاة من بعده ، وقد عرف الجرجاني العامل بقوله :((ما أوجب كون آخر الكلمة مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو ساكناً))[٨٦] ،أي انَّ الكلمات متى ما انتظمت في جملة اسميّة كانت أم فعلية ، بركنيها الأساسيين فقط ، أم بركنيها و بعض المكملات ، فان بعض هذه الكلمات تؤثر في غيرها بالرفع أو بنصب أو بالجر أو بالجزم [٨٧].

ويقول الدكتور عبده الراجحي [٨٨]: تكاد المصطلحات التي يستعملها التحويليون لا تختلف عن كلام العرب القدماء ولنأخذ المثال التالي :

1- That Martin will fail his linguistic course is likely
((المرجح فشل منهج مارتن اللغوي))
2- Martin is likely to fail his linguistic course
((مارتن مرجح فشل منهجه اللغوي))

ثم يقول : ((ويعلّق المؤلّف بأنَّ الجملتين تقعان في مجال كلمـــة (likely) ﴿= مرجح﴾ أي أنَّ هذه الكلمة – باعتبارها[٨٩] عاملاً- تؤثر في نظم الكلام حتّى يؤدي دلالةً معينةً))[٩٠] ، ويذهب الدكتور الراجحي إلى أنَّ الرّسم الذي يقدّمه التوليديون لهذا المثال ((يجعل كلمة (likely) في البداية باعتبارها العامل الذي يسيطر على الجملة كلها))[٩١]، وهذا الشبه واضح غير متكلّف بين العامل في التراث العربي ،وما جاء به المنهج التوليدي من طرق تحليل عمادها العامل .

١٢- القواعد الكليّة :

يعبّر عنها التوليديون بأنَّها كليّات نحويّة تقوم بضبط الجُمل عند توليدها لتجعلها جُملا نحويّة أو غير نحويّة[٩٢] ، و المتمعن في الدرس النحوي العربي يجد ابن هشام (ت٧٦١هـ)قد عقد بابا في مغنيه أسماه بـ((ذكر أمور كلية يتخرج عليها مالا ينحصر من الصور الجزئية))[٩٣] اقترب فيه من مفهوم القواعد الكلية الى حدٍّ كبير ،ويوضح معنى هذا الباب في مقدّمة كتابه قائلاً : ((إنني قد تأملت كتب الإعراب فإذا السبب الذي اقتضى طولها ثلاثة أمورٍ ؛ أحدها كثرة التكرار ... فتراهم يتكلّمون على التركيب المعيّن بكلام ، ثم حين جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام ، ألا ترى أنَّهم حيث مرَّ بهم مثل الموصول في قوله تعالى: ((هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ)) ﴿البقرة:٢-٣﴾ ذكروا أن فيه ثلاثة أوجه وحيث جاءهم مثل الضمير المنفصل في قوله تعالى :((إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ)) ﴿البقرة :١٢٧﴾ ذكروا فيه ثلاثة أوجه أيضا...))[٩٤] أي أنَّه يَردُّ كثيراً من أبواب النحو إلى قواعدَ كليّةٍ يمكن الاستغناء بها عمّا سواها ، واستوى

كلامه هنا على ذكر إحدى عشرة قاعدة كليّة مورداً عليها الأمثلة والشرح والتعليق لكلٍّ قاعدة منها ، وفي هذا التشابه والاقتراب بين ابن هشام وتشومسكي يقول الدكتور نهاد الموسى : ((وليس تقرير الشبه بين ابن هشام وهومبولت ثم تشومسكي من هذه الجهة محتاجاً إلى أن يُتكلَّف له التأويل))[٩٥] ويرجح في هامش كلامه أن تكون هذه الفكرة مما ورد على الغرب من العرب[٩٦].

بعد أن ذُكِرت أبرز نقاط الشبه بين الطرفيين لا كلها ، فقد يفوت البحث أمور هي بالمقارنة أجدى ،و بالمشابهة أمضى ، فإن عنَّ للقارئ طَولاً على ما ذكر ، فخليقاً به إلحاق الأواخر بالأوائل ، ولرُبَّ ظانٍّ يظنُّ أنَّ ما جاء به تشومسكي من باب الأمور العامّة في كلِّ لغة ،وأنّه محض مشابهة واتفاق لا أكثر، فيُردّ عليه بأنَّ المشابهة إن كانت في جزء من كُلٍّ فلا بأس ، أمّا فيما يَصِلُ الى كلٍّ فهذا ما يجذب النظر، ويغري بالوقف ،وإعمال العقل لتلمّس الأسباب ، كيلا يضيع حقٌّ لصاحبه ،وما أجلّه من صاحبٍ يصحَبُ القرآن إلى يوم يبعثون.

ثانيا : آراء الدارسين في تأثر النحو التوليدي بالنحو العربي

إنَّ بعض الدّارسين المُحدَثين أخذوا يُعيدون النظر في النحو العربي تأثراً بالنظريّات اللسانيّة الحديثة ، فما أن تظهر إحداها حتّى يهرعوا إليه مراجعين ،فتارة ينقدوه ويُجرّحوا به ، ويمدحوه و يرفعوا من قدره تارةً أخرى ، بحسب انطباق هذه النظريّة أو تلك مع تراثنا النحوي ، من ذلك ما قام به الدكتور إبراهيم أنيس متأثرا بالمنهج الوصفي ، فذهب إلى أنَّ الإعراب بالحركات قصّة نسجها النّحاة وأحكموا خيوطها [٩٧]، وأنَّ أصل وضع الحركات للتخلّص من التقاء الساكنين ؛ فالكلمة تكون ساكنة الآخِر ولا تُحرّك إلّا حين تدعوا الحاجة إلى ذلك[٩٨]، أي أنّه يكتفي بوصف اللغة وعدم البحث عن علّة وضع الحركة ، فليس للحركة مدلول عنده ، وأكّد ذلك بقوله : ((لم تكن تلك الحركات الإعرابيّة تُحدّد المعاني في أذهان العرب القدماء ،كما يزعم النحاة ،بل لا

تعدو أن تكون حركات يُحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض))[٩٩].

ومن ذلك ما قام به الدكتور كمال بشر بانتقاده النحاة العرب ،إلّا أنَّه كان أخف وطأةً من سابقه ،فقال : إنَّهم ((كانوا أحيانا يشغلون أنفسهم بما ليس في طبيعته أن يقود إليه﴿الى النحو﴾ أو أن يمهد له الطريق ، ولا يلتزمون في عملهم طريقاً واحداً أو درباً مستوياً))[١٠٠]و قد نوّه سابقا الى أنه سيعتمد المنهج الوصفي في مؤلَّفه[١٠١] ، نقد الدكتور تمام حسان النحو والنحاة العرب[١٠٢]،حتّى أنّه اقترح بديلاً لمبدأ العامل بكلامه عن القرائن النحويّة،وحاول تطبيق هذا البديل في كتابه(الخلاصة النحويّة) [١٠٣].

لم يستمر هذا الموقف من النحو العربي طويلاً ، فما أن ظهر المنهج التوليدي التحويلي على يد تشومسكي في أواخر العقد الخامس من القرن المنصرم ،حتّى تأثّر به مجموعةٌ من الدارسين ،فاستُبدِل بموقف يقترب من ردِّ الاعتبار للتراث النحوي العربي ،فقامت مقارنات بين أصول المنهج المذكور وأصول نحونا العربي في أذهان وكتابات أولئك الدّارسين ، ولّما وجدوا التشابه واضحاً وكبيراً بين الطرفين جاءت معظم آرائهم روافدَ تصبّ في نهر تراثنا العربي ،تقوّي تياره وترفع من قدره ،ويمكن تقسيم هذه الآراء على قسمين رئيسين :

١- المؤيدون لتأثر المنهج التوليدي بالنحو العربي :

جاءت آراء الدارسين المؤيدين للتأثر متفاوتة ، ففريق يشير إشارةً إلى وجود تشابه بين الفكرين التوليدي والعربي ،وفريق آخر يميل إلى إثبات هذا الشّبه دليلاً وحجّةً على تأثر تشومسكي بالتراث اللغوي العربي ،ويتمثّل الأوّل بمجموعة من الدارسين منهم الدكتور هادي نهر فقد أشار إلى ذلك بقوله : ((والمتأمل لأراء التي طرحها تشومسكي واجدٌ أنَّ كثيراً من مبادئها كان معروفا منذ القديم عند المفكرين العرب بما فيهم النحاة ،وإني لواثق أن المطلعين على آثار نحويي البصرة و الكوفة الأوائل لن يلحظوا غرابة في كتاب

(تشومسكي) الموسوم بـ(جوانب من نظرية النحو) لو سنحت لهم فرصة الاطلاع عليه))[١٠٤]، ثم يورد بعضا من ملامح النظرية التوليدية في التراث العربي [١٠٥].

وممن أشار إلى ذلك الشبه الدكتور عبده الراجحي ذاكراً أنَّ ((طريقة النحو التحويلي تتبع عدداً من (العمليات النحوية) تشبه شبهاً غير بعيد كثيراً مما جاء في النحو العربي))[١٠٦]، ثمّ أنّه يورد جوانبَ من هذا الشبه فيذكر الأصل و الفرع ،و قضية العامل ،والحذف [١٠٧] ، وقد أشار الدكتور خليل عمايرة إلى الشبه بين ما ورد عن عبد القاهر الجرجاني من آراء ،و ما اقرّه المنهج التوليدي في عدّة نقاط منها تحليل الجمل، وكيفية تحوّل البنية العميقة للكلام إلى بنيته السطحيّة [١٠٨] ،ومنهم الدكتور نعمة رحيم العزاوي بإفراده بابا للمنهج التوليدي[١٠٩] حاول فيه ذكر ما عنَّت له من سمات شابَه فيها المنهجُ التوليدي تراثَنا العربي ، فتحدث عن الأصل والفرع ،والتعليل،والتقدير والتأويل .

وقد أشار كمال أبو ديب للتشابه التام ما بين بعض المفاهيم و طرق التحليل التي جاء بها الجرجاني وتشومسكي في أربعة مواضع[١١٠] ، فيقول في ذلك : ((وربما كان نوع التحليل الذي أتى به الجرجاني في هذا الفصل أوّل، بل أفضل، تحليل في اللغة العربية لـ(البنية السطحيّة) و(البنية العميقة). وإيضاحُ التماثل بين المفاهيم التي طورها الجرجاني، وطوَّرها تشومسكي مؤخَّرا، سهل جدا ... ولتوضيح الفرق بين البنيتين فقد أعاد الجرجاني صياغة كلِّ واحدة منهما بالطريقة نفسها التي يستعملها تشومسكي الآن من أجل الكشف عن البنى العميقة للتركيبات التركيبيّة المماثلة))[١١١].

أمّا الفريق الآخر فمنهم الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ،إذ يرى أن كثيراً مما جاء به اللسانيون الغربيون نقل إليهم في إطار انتقال العلم العربي إلى الغرب اللاتيني عن طريق الأندلس ،وأنَّ كثيرا من الدراسات النحوية

والصوتية قد ترجمت إلى اللغة الفرنسية بترجمة كتب النحو والتجويد، وأبرز من تأثر بهذه الدراسات المستشرق (دي ساسي)[١١٢] ، وهذا الأخير هو من كوّن فكر(فون هومبلت) ،الذي تأثر به تشومسكي في فطرته اللغويّة [١١٣] وكانت بمثابة الباعث على وضع المنهج التوليدي[١١٤]، وتابعه في ذلك الدكتور نهاد الموسى ، الذي قرر((إن التشابه في هذه المسألة يغري بالتأمل و يقوي معه الهاجس بأن هذه المسألة قد تكون مما ورد على الغرب من العرب))[١١٥] مشيراً في ذلك إلى أقوال الدكتور عبد الرحمن سابقة الذكر .

وممن حاول تلمّس السبل التي انتقل بها التراث العربي إلى تشومسكي الدكتور علي زوين بقوله : ((نرى من الضروري الإشارة إلى أنَّ تشومسكي قد درس العربيّة القديمة وكان يُعتبَر من المبرزين فيها وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبريّة في الأندلس ،وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبريّة ، ومن هنا يمكن أن نفترض تأثر تشومسكي ،والمدرسة التحويليّة بالدراسات اللغويّة العربيّة))[١١٦] أي أنّه يرى تشومسكي متأثراً بالتراث العربي بطرق مباشر بدراسته للعربيّة القديمة ، وبطريق غير مباشر بدراسته العبريّة المتأثرة أصلاً و نشأةً بالنحو العربي.

ومن ذلك ترجيح الدكتور محمد عبد المطّلب إفادة تشومسكي من الجهد العربي في الدرس اللغوي والنحوي فقد ذكر أنَّ تشومسكي ((قبل أن يبدأ دراسة اللسانيات العامّة كان مشغولاً ببعض الأبحاث التي تدور حول اللسانيات الساميّة، وأنّه قد درس هذا مع مستشرق يعرف العربيّة وآدابها وهو الأستاذ (فرانز روزنتال)[١١٧] ،وأنّه كان مهتمّاً بالتراث العربي و العبري ، بالإضافة إلى أنَّ دراسته المبكرة كانت تدور حول النحو العبري في العصور الوسطى ، وكان أبوه متخصصاً في النحـــو العبري و العربي في هذه المرحلة ، وقد درس النحو على يديه، كما[١١٨] درس في أثناء فترة[١١٩] تلمذته بجامعة

بنسلفانيا النحو العربي الحديث، و النحو العربي في القرون الوسطى[١٢٠]))[١٢١].

ولم يكن الباحثون العرب وحدهم من أشاروا إلى مسألة الشبه الواضح بين الطرفين، بل إنَّ بعض الدّارسين الغربيين لاحظوا ذلك أيضاً ، من أبرزهم (كيس فرستيغ) و(مايكل كارتر) ،فقد ألّفا كتابا بالإنجليزية ((عنوانه (دراسات في تاريخ النحو العربي/٢)، ونشر في ١٩٩٠،ويقول ﴿المؤلفان﴾ في مقدمة هذا الكتاب: ... إن مفهوم الكُلّيّات اللسانيّة في الأقل ربما لا يمكن نقاشه الآن دون النظر في التنظيرات المشابهة في اللغة العربية ،حيث يجب ألا يؤكَّد تطبيق كثير من معطيات اللسانيات المعاصرة ﴿من﴾ دون الإشارة إلى التقاليد اللسانية التي تُعدّ اللغة العربيّة أشهرها من حيث النضج ﴿ولا تقلُّ﴾ عن نضج التقاليد اللسانيّة المعروفة الأخرى مثل الهنديّة أو الصينيّة. وربما وَجَد المهتمُّ باللسانيات العامّة ... بعض المعلومات التي يمكن أن تقوده إلى تعديل بعض آرائه التي تأسست كلّها على التقاليد الغربيّة))[١٢٢]، فهما في بداية الكلام يؤكّدان التشابه ، ثم يحثّان الدارسين على أهمية الاطلاع على الدراسات العربية في هذا الجانب ، ليتبين لهم التأثر والتأثير .

٢- المعارضون لهذا التأثر :

يرى بعض الدّارسين أنَّ من التعصّب نفي الدّرس اللساني الحديث بعدّه بديلاً مجرداً عن التراث اللغوي القديم ، من أولئك الدكتور أحمد المتوكل في حثّه على الابتعاد عن مبدأ إسقاط الآراء و النظريات في الدّرس اللغوي ويمثل للإسقاط بقوله : ((ومن أمثلة ذلك أن يقال إنَّ (التحويلات) بالمفهوم التوليدي التحويلي موجودة بنفس الخصائص الصورية في النحو العربي القديم))[١٢٣] و ممن لم يرتضِ فكرة تأثر تشومسكي في منهجه بالتراث العربي القديم الدكتور حمزة بن قبلان المزيني فقد ذهب إلى أن كثيرا من الباحثين لم

يتورعوا عن الادعاء بأنَّ تشومسكي أخذ أصول منهجه من تراثنا العربي بصورة مباشرة ، ((واستدلوا على ذلك بدراسته للعربية في جامعة بنسلفانيا ،وتتلمذه على يد بعض المستشرقين المعروفين، وبعض التشابهات الظاهرية بين منهج تشومسكي و منهج الدراسات اللغوية العربية المبكرة))[١٢٤] وكأن كلَّ هذه الأدلة لم تكفِ المزيني وتثنيه عن رأيه القائل بعدم تأثر تشومسكي بالتراث اللغوي العربي ، فأبى إلّا مناصرةً للتوليديين بوصفه نقاط الشبه الواضحة بين الطرفين -على الرغم من عمقها ودقتها - بأنّها ظاهرية ،ثمَّ ذهب أبعد من ذلك بقوله : ((أن هناك وهما بالتفوق العربي في دراسة اللغة؛ وهو ما يؤدي إلى وهمٍ آخر يتمثل في أنّه لا يمكن لأحد أن يتجاوز ما أنجزه العلماء العرب الأقدمون في دراسة النظام النحوي للغة العربية))[١٢٥]، فظهر هنا بمظهر المتعصّب لمنهج تشومسكي على حساب مورثنا اللغوي .

ومن الأدلّة التي جاء بها المزيني لمساندة وتعضيد رأيه أنّه ترجم أحد كتب تشومسكي وأرسله إليه ليطّلع على الكتاب بعد ترجمته، فما كان من تشومسكي إلّا أن أرسل إليه رسالةً ضمّنها النصَّ الآتي : ((على الرّغم من أنني كنت في حقبة مبكرة من حياتي أعرف ما يكفي من اللغة العربية أستطيع به فهم ما ينشر في جريدة أو رواية(أمّا دراستي الفعليّة فقد كانت مقصورة على الشعر الجاهلي، والمؤلفات النحوية التي أُلّفت في القرن الثامن الميلادي ﴿القرن الثاني الهجري؛ وربما يشير هنا إلى كتاب سيبويه﴾)، إلا أن ذلك كان قبل أربعين سنة خلت، أما الآن فإنني لا أثق بمعرفتي ﴿للعربية﴾. لكنني سوف أعير الكتاب ﴿الترجمة﴾ إلى أحد زملائي أو أصدقائي﴿لقراءته﴾))[١٢٦] ، وعَدَّ المزيني هذا النص دليلا على عدم تأثره بالتراث العربي ، فلو كان التأثر موجودا لاستطاع تشومسكي قراءة الكتاب

،و يُردُّ على المزيني أنَّ رسالة تشومسكي السابقة لا تتعدى كونها رداً مهذباً منه يُعلِم فيه المترجم أنَّ التزاماته و مشاغله لا تمنحه وقتاً لإعادة قراءة كتاب كان قد كتبه سابقاً لا لشيء سوى ترجمته إلى لغة أخرى .

وقد عارض الدكتور مازن الوعر فكرة التأثر ؛ ونستدلُّ على ذلك بقوله : ((إنَّه لا غرابة أن نرى عالما لسانيا أمريكيا معاصرا هو نوم تشومسكي يقف وقفة دهشة وعجب من التراث العربي اللغوي(النحوي والدلالي)، عندما قرأ وعلّق على عملٍ لسانيٍّ كنتُ قد تقدمت به كرسالة للدكتوراه. ففي رسالة بعثها إليّ في ٢٦ نيسان ١٩٨٢ قال فيها:(إنّه من الواضح أنَّ هذه الدّراسة هي دراسة جدية ورائعة ومهمة ... ولقد دُهِشت بشكل خاص من تلك التعليقات اللغويّة التي وردت في ثنايا[١٢٧] هذه الدراسة والتي كان قد قالها العرب القدامى. إن هذا وحده يجعل هذه الدراسة إسهاما قيما جدا لتطوير الدراسات اللسانية الغربية...)))[١٢٨]، فمن يقرأ النصّ المتقدم يفهم ضمناً عدم اطلاع تشومسكي على التراث العربي ،و بالنتيجة عدم تأثره به في منهجه ، وهو ما يلمح إليه الوعر .

ومن الدّارسين الذين يمكن استكناه معارضتهم في هذه المسألة الدكتور تمّام حسّان ،إذ عُرِف بدراسته لأصول النحو العربي من منظور يمكن وصفه بأنّه حديثٌ متأثرٌ بالألسنيّة المعاصرة ،ومع ذلك لم يشر إلى أيّ تشابه بين النحو العربي والمنهج التوليدي ، لكنّ المطّلع على بحثه الموسوم (إعادة وصف اللغة ألسنيّاً) يجده قد استعرض المدارس النحويّة العربيّة ،وما لبث أن عرض تطبيقاً على اللغة العربية بحسب المنهج التوليدي ، ثم قرر الأتي : ((وهكذا يبدو أن النموذج التحويلي يمكن أن يطبق على اللغة العربية، ويمكن للغة العربية أن يُعاد وصفها ألسنيّاً من خلاله))[١٢٩] ،ويعلّق الدكتور حمزة المزيني على ذلك بقوله : ((ومعنى هذا القول أنّه لو وجد الدكتور تمّام حسّان تشابها بين النحو العربي والنحو التحويلي لكان تعبيره عن هذا الأمر مختلفا؛ ولكان من المحتمل

أن يقول، بدلا مما قال، إن هذا النموذج هو ما نجده في النحو العربي))[١٣٠] ، و لذا يمكننا القول إنَّ الدكتور تمّام حسّان كان من المعارضين لفكرة التأثر .

ومن المعارضين لفكرة التأثر الدكتور عبد السلام المسدي ، إذ يرى أنَّ((الغرب قد أهمل التراث اللغوي عند العرب فلم يفد منه شيئاً و بذلك استلمت الأمم اللاتينية مشعل الحضارة الإنسانيّة من العرب في كل ميادين المعرفة تقريباً إلّا في التفكير اللغوي))[١٣١] أي : أنَّ التفكير اللغوي الإنساني قد غفل عن حظ العرب من الدّراسات اللغويّة ، و يعلّل ذلك بورود نظريات العرب اللغويّة مبثوثة في طيّات وخبايا تراثهم الحضاري بمختلف أصنافه ،وأضرب مشاربه[١٣٢] ،ثمّ يؤكّد عدم إفادة الغرب من الثقافة اللغوية العربية فيقول : ((أما النتيجة المبدئية التي آل إليها (نسيان) تراث العرب في اللغويّات العامّة فهي حصول قطع في تسلسل التفكير الألسني عبر الحضارات الإنسانيّة ،فنهضت الحضارة الغربيّة على حصيلة التراث اليوناني ،ولكن في معزل عن مستخلصات ثمانية قرون من مخاض التفكير اللغوي عند العرب))[١٣٣]وبذلك عُدَّ من المعارضين لقضيّة التأثر ،أما قوله بعدم تأثر الغرب بالدراسات اللغويّة العربيّة مطلقاً فهو قول مردود عليه ،فلو كانت الأمم اللاتينيّة قد استلمت مشعل الحضارة من العرب في كل ميادين المعرفة- كما عبّر هو عن ذلك- فبأية واسطة ؟ و الجواب الأكيد بواسطة ترجمة الكتب العربية إلى لغات أخرى ، ولّما كانت آراء و نظريات العرب اللغويّة مبثوثة في خبايا كتبهم على مختلف أصنافها فمن الطبيعي وصولها إلى الغرب مع ما تمّت ترجمته من كتب .

القول الفصل

يجمل بمن يريد الوصول إلى الرأي القاطع في هذه القضية الرجوع إلى تشومسكي نفسه ،فبرأيه يُفضُّ خلاف المختلفين ،وعنده ترسو سفن المتنازعين،

ومن توفيق الله أنْ عثر الباحث على نصٍّ من رسالة بعثها تشومسكي الى أحد الباحثين[١٣٤] بتاريخ ٢٨/مايو/١٩٨٩ يجيب فيها عن هذا الموضوع بالذات جاء فيه :

((وتسأل عن تأثير النحو العربي التقليدي على منهجي في دراسة اللغة. إن أكثر الأقوال التي سمعتَها صحيحة جزئيا)) فيعترف هنا صراحةً بتأثره بالتراث العربي بصورة عامة، ثُمّ يفصل هذا التأثر ،فيجعله نوعين ؛ الأول : تأثراً غير مباشر ويذكره بقوله : ((فقد كان والدي عالما من علماء النحو العبري في القرون الوسطى ،وقد حقّق الطبعة المعتمدة لكتاب النحو الذي ألفه﴿النحوي اليهودي الأندلسي﴾ ديفيد قمحي. وكنت مطّلعا اطّلاعا جيدا في أيام صباي المبكّرة على أعمال أبي ،كما أنني درست حينها شيئا قليلا من الدراسات التاريخية عن نحو اللغات السامية. وكان أثر النحو العربي﴿على النحو العبري﴾ عظيما، وهذا أمر مشهور. وكان هذا السياق ذا أثر مباشر كبير على دراساتي المبكرة، بل إن رسالة التخرّج من الجامعة ﴿البكالوريوس﴾ ورسالة الماجستير اللتين أنجزتهما في جامعة بنسلفانيا عن الأنظمة الصوتية الصرفية للغة العبرية الحديثة كانتا متأثرتين بتلك الدراسات إلى درجة كبيرة، كما صممتا جزئيا من حيث النموذج على مفاهيم مأخوذة من اللسانيات السامية التاريخية والنحو التقليدي، وكانت هاتان الرسالتان أقدم النماذج للنحو التوليدي المعاصر، وإن لم تنشرا إلا بعد سنين من تاريخ إنجازهما)) [١٣٥] أي أنه تأثر بالنحو العبري المتأثر أصلاً بالنحو العربي [١٣٦]،و بالدراسات الساميّة والعربية أبرزها ، فتأثر بالعربية بصورة غير مباشرة ، وهذا ما يشير إليه في آخر رسالته بقوله : ((إن من الصعب دائما أن نتتبع بدقة مثل هذه الأمور، لكن هناك من غير شكٍّ احتمالات كبيرة لمثل هذا التأثير)) [١٣٧] .

والنوع الآخر هو التأثر المباشر و يذكره حين يقول : ((ولما التحقت بجامعة بنسلفانيا في سنة ١٩٤٥م بدأت مباشرة بدراسة اللغة العربية مع (جورجيو ليفي

ديللا فيدا) الذي كان مستعربا متميزا جدا، ثم درست، بعد أن تقاعد (ديللا فيدا)، مع (فرانز روزينتال). ومع (روزينتال) درست مادة اللغة العربية لفصل واحد، وكنت الطالب الوحيد في تلك المادة، ودرست معه فيها كتاب سيبويه، ... وكان (زيلك هاريس)، الذي درست ﴿اللسانيات﴾ على يديه، أنجز أعماله الأساسية في اللسانيات التاريخية السامية، وكنت درست ما كتبه في هذا الموضوع أيضا))[١٣٨] ، فبدراسته لأمّات كتب العربية تأثر بتراث العرب اللغوي بصورة مباشرة ، ومنها أنه درس على يد (روزنتال) كتاب الأجرومية [١٣٩]، ودرس النحو على يد والده الذي كان متخصّصا بالنحوين العبري والعربي[١٤٠]، ولو لم يكن لتشومسكي حظ من دراسة العربية إلا دراسته كتاب سيبويه لَكان كافٍ لتأثره ، فهذا الكتاب قد جمع النحو والصرف والبلاغة بين دفتيه حتى استصعبه علماء النحو قديما فقالوا لمن يروم دراسته :هل ركبت البحر؟ استصعابا له و تعظيماً لقدره[١٤١]، وقالوا فيه أيضا :من أراد وضع كتاب في النحو بعد سيبويه فليستح [١٤٢]، وبلغ مقدار تأثر تشومسكي بهذا الكتاب أن قامت دراسة في هذا التأثر وسِمَتْ بـ ((جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه))[١٤٣] .

وخلاصة نصّ الرسالة السابقة أن تشومسكي نفسه يرجح هذا التأثير الذي رفضه كثير من الدّارسين العرب المحدثين ومنهم المزيني والوعر وعبد السّلام المسدي ، و كان قوله فاصلاً ،يفضّ نزاع من نازع ،ويوهي حجّة من دافع ، ويملأ دلاء العربيّة ماءً سائغاً لذّةً للشاربين .

ملخّص البحث

الهدف من هذا البحث بيان تأثر المنهج التوليدي التحويلي بالتراث اللغوي العربي ؛لأنَّ كثيرا من الدارسين عدّوه منهجاً أصيلاً من بنات أفكار تشومسكي ،ابتدعه على غير مثال سابق ،ومن دون تأثر بمخاض ثمانية قرون

من الدراسات اللغوية العربية التي تقترب كثيرا مما جاء به في منهجه ،لذا يحاول البحث أن يبرز الخطوط العامة التي تثبت هذا التأثر من خلال ذكر النقاط التي شابه بها منهج تشومسكي تراثنا العربي ،بعدها سنذكر آراء الدارسين المحدثين بهذا التأثر ،ثمّ سنثبت التأثر بطريقين :مباشر متمثّلاً بدراسة تشومسكي لأمّات كتب العربية ،وغير مباشر متمثّلاً بدراسته للغة العبرية المتأثرة أصلاً بالتراث اللغوي العربي .

ABSTRACT

The objective of this study is to show the influenced of the transformational generative approach in Arab linguistic heritage; because many scholars see this approach as original approach from Chomsky brainchild, his innovation with no previous match, and not affected by eight centuries of Arab linguistic studies, which came much closer in his approach. Therefore, this study will highlight the general lines that prove this affect through identify the similar points between Chomsky approach and Arab heritage, then the study will mention the modern scholars opinion of this effect, after that the study will prove the effect in two ways: direct way which represented in Chomsky study in Arabic books, and indirect way represented in his study of Hebrew which already affected by Arab linguistic heritage .

هوامش البحث

(١)- ظ: المبحث الأول من هذا الفصل : ٣٠ .

(٢)- تفسير مجاهد :٧٣/١.

(٣)- جامع البيان عن تأويل آي القرآن:٢١٦/١.

(٤)- الصاحبي في فقه اللغة : ١٣.

(٥)- المسد حبل من ليف أو من غيره ، وهو أيضاً إدآب السير في الليل ،وقيل هو السير الدائم في الليل كان أو النهار .ظ: لسان العرب :٤٠٢/٣-٤٠٣ .

(٦)- كتاب الحروف /أبو نصر محمد الفارابي/الناشر :دار المشرق- بيروت/د.ط/١٩٧٠م : ١٣٤.

(٧)- المصدر السابق : ١٣٥.

(٨)- لسان العرب : ١٦/١١ .

(٩)- ظ: ظاهرة رفض الأصل في الدراسات النحوية /فاطمة حسن عبد الرحيم / إشراف :عبد الرحمن محمد إسماعيل /أطروحة دكتوراه -فرع النحو/ جامعة أم القرى /١٤١٥هـ : ٩ .

(١٠)- كتاب سيبويه / أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه/ تحقيق: عبد السلام محمد هارون /الناشر: دار الجيل – بيروت/ط١/د.ت:٢٤/١-٢٥ .

(١١)- ظ: الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين و الكوفيين/أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)/تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ الناشر : المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة/د.ط/د.ت: ٢٣٥/١.

(١٢)- اللغة العربية معناها و مبناها /تمام حسان/الناشر: دار الثقافة – الدار البيضاء/د.ط/١٩٩٤م :١٦٩.

(١٣)- منه قوله : ((واعلم أن خبر (كان) إذا كنيت عنه جاز أن يكون منفصلا ومتصلا ،والأصل أن يكون منفصلا ؛إذ كان أصله أنه خبر مبتدأ ،تقول: كنت إياه ،وكان إياي ،هذا الوجه ؛لأن خبرها خبر ابتداء وحقه الانفصال)) ،ظ :الأصول في النحو/ أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي/ تحقيق: د . عبد الحسين الفتلي/الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت /ط٣/١٤٠٨هـ -١٩٨٨م : ٩١/١ .

(١٤)- شرح كتاب سيبويه /لابي سعيد السيرافي /تحقيق : رمضان عبد التواب،ومحمود فهمي حجازي،و محمد هاشم عبد الدايم/الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب/د.ط/١٩٨٦م : ٧٤/١-٧٥ .

(١٥)- معجم المصطلحات النحويّة والصرفيّة/محمد سمير نجيب اللبدي / الناشر : مؤسسة الرسالة- بيروت/ط١ /١٤٠٥هـ -١٩٨٥م :٩٢ .

(١٦)-عنصر من عناصر التحويل عند التوليديين وهو الترتيب الذي تتوالى فيه الكلمات المكوّنة للجملة بحسب نظام اللغة كترتيب المبتدأ والخبر في الجملة الاسميّة ،وترتيب الفعل والفاعل والمفاعيل في الجملة الفعليّة ، ظ: معجم المصطلحات الألسنية

(فرنسي-انكليزي-عربي)/ مبارك مبارك /الناشر: دار الفكر اللبناني-بيروت/ط١/١٩٩٥م:٢٠٥.

(١٧)- ظ: القاموس المحيط / مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت(٨١٧ه)/تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي/الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت/ط٢/١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م:٣٧٠ (باب الراء فصل الذال /مادة ذكر)

(١٨)- ظ: المصدر نفسه : ٧٣٦(باب الفاء فصل الحاء/مادة حذف)

(١٩) - البرهان في علوم القرآن/ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي /تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم /الناشر: دار المعرفة - بيروت /د.ط/ ١٣٩١ هـ:١٠٢/٣

(٢٠) – ظ: كتاب سيبويه: ٨/١ ، ١١١ ، و ٢٧٩ ، و ١٤٤/٢ .

(٢١)- يقول في ذلك : ((اعلم أنّهم يحذفون الكلم وإن كان أصله في الكلام غير ذلك ... فمما حذف وأصله في الكلام غير ذلك : لم يك ،ولا أدرِ ،وأشباه ذلك)) ،ظ:المصدر نفسه ٢٤/١-٢٥.

(٢٢)- ظ: الخصائص/ أبو الفتح عثمان ابن جني/تحقيق: محمد علي النجار /الناشر: عالم الكتب – بيروت/د.ط/د.ت: ٣٦٠/٢ .

(٢٣)- دلائل الإعجاز/ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني/قرأه وعلّق عليه: أبو فهر /محمود محمد شاكر/ الناشر:مطبعة المدني /ط٣/١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ١٤٦ .

(٢٤)- كتاب سيبويه : ١٣٠/٢ .

(٢٥)- دراسات في اللسانيات :٢٠٠،وظ:النحو العربي و الدرس الحديث :١٤٩.

(٢٦)- أي ان تبقى الجملة على اسمها بعد الحذف سواءً كانت اسمية أم الفعلية.

(٢٧)- ظ: في نحو اللغة وتراكيبها : ١٣٤.

(٢٨)- الأشباه و النظائر في النحو / جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ)/ الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت / ط١/١٤٠٥هـ-١٩٨٤م :٣١٧/١.

(٢٩)- ظ: أسرار العربية/ أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)/ تحقيق: فخر صالح قدارة /الناشر: دار الجيل - بيروت /ط١/ ١٤١٥هـ ١٩٩٥م :٦٥/١.

(٣٠)- يقول سيبويه : ((الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد فكل مؤنث شيءٌ والشيء يذكر فالتذكير أول وهو أشد تمكناً كما أن النكرة هي أشد تمكناً من المعرفة لأن الأشياء إنما تكون نكرةً ثم تعرف فالتذكير قبل وهو أشد تمكناً عندهم فالأول هو أشد تمكناً عندهم)) ، كتاب سيبويه :٢٤١/٣.

(٣١)- مناهج البحث اللغوي : ١٩٥.

(٣٢)- المصدر نفسه .
(٣٣)- كتاب سيبويه : ٢٧٠/١ .
(٣٤)- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ مصطفى محمد عرفة الدسوقي ت(١٢٣٠هـ)/تحقيق : عبد السلام محمد أمين/الناشر :دار الكتب العلمية – بيروت/ط٢/٢٠٠٧م : ٤١٤/٣ .
(٣٥)- مختار الصحاح : ٥٢٣ .
(٣٦)- معجم المصطلحات النحوية و الصرفية: ١٨٢.
(٣٧)- المقصود هنا جمهور البصريين ، بينما ذهب الكوفيون إلى جواز تقدّم الفاعل على فعله ، ظ : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين/أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ت(٥٧٧هـ)/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد /الناشر: دار الفكر - دمشق /د.ط/د.ت:٦١٥/٢-٦١٦ .
(٣٨)-أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك/ جمال الدين ابن هشام الأنصاري ت(٧٦١هـ)/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد /الناشر: دار الجيل - بيروت /ط٥/ ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م : ٨٥/٢ .
(٣٩)- البرهان في علوم القرآن : ٢٦/٤ .
(٤٠)- مناهج البحث اللغوي : ١٩٥.
(٤١)- ظ: قضايا التقدير النحوي بين القدماء والمحدثين(رسالة دكتوراه)/ محمود سليمان ياقوت/ الناشر:مؤسسة المعارف – القاهرة /د.ط/١٩٨٥م : ١٨٠ .
(٤٢)- ظ: النحو العربي و الدرس الحديث : ١٤٩.
(٤٣)- ظ: كتاب العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(١٧٥هـ)/ تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي /الناشر: دار ومكتبة الهلال/د.ط :٨ / ٣٦٩ ، و ظ : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير/أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي/الناشر: المكتبة العلمية - بيروت : (مادة أول).
(٤٤)- معجم مقاييس اللغة/ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا/ تحقيق: عبد السلام محمد هارون /الناشر: دار الجيل - بيروت /ط٢/ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م :١ / ١٦٠ .
(٤٥)- كتاب العين: ٨ / ٣٦٩ .
(٤٦)- فصل المقال في ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال /أبو الوليد محمد بن احمد ابن رشد ت (٥٩٥هـ)/ الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت/ط٣/ ١٩٨٦م :٣٢.

(٤٧)- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك/ قدّم له ووضع هوامشه:حسن حمد /الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/١٤١٩هـ -١٩٩٨م : ٢/٤٦-٤٧ .

(٤٨)- كان حريٌّ به تقديم المؤكَّد على التأكيد فيقول: هو الأساس المزدوج نفسه .

(٤٩)- المفهومات الأساسية للتحليل اللغوي عند العرب /د.عبد الرحمن أيوب/ مجلة اللسان العربي- الرباط / ١٩٧٨م : مج١٤/١/١٦.

(٥٠)- التحويل في النحو العربي (مفهومه -أنواعه-صوره)/رابح بو معزة/ الناشر : جدارا للكتاب العالمي-عمّان/ط١/١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م :٦٤.

(٥١)- كتاب سيبويه :٢٥ .

(٥٢)- المصدر نفسه :٢٥-٢٦ .

(٥٣)- الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها/أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا / تحقيق: احمد حسن بسج /الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/ط١/١٤١٨هـ - ١٩٩٧م :٤٠ .

(٥٤)- الصّاحبي في فقه اللغة : ٤٠-٤١ .

(٥٥)- دلائل الإعجاز : ٨١.

(٥٦)- مفتاح العلوم / لابي يعقوب السكاكي /تحقيق: اكرم عثمان يوسف/الناشر :مطبعة دار الرسالة – بغداد/ط١/١٤٠٢هـ -١٩٨٢م : ٢٠٤.

(٥٧)- ظ: الألسنية التوليدية و التحويلية (النظرية الألسنية): ١٠٨.

(٥٨)- البنى النحوية ص ١٩-٢٠ .

(٥٩)- ظ: في نحو اللغة وتراكيبها : ٥٧ .

(٦٠)- البيت لامرئ القيس الكندي ، وروايته في الديوان: قِفا نَبكِ مِن ذِكرى حَبيبٍ وَمَنزِلِ بِسقطِ اللوى بَينَ الدَخولِ فَحَومَلِ

، ظ : ديوان امرئ القيس /تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم/الناشر :دار المعارف – القاهرة /ط٥/د.ت: ٨ .

(٦١)- دلائل الإعجاز : ٤١٠ .

(٦٢)- النحو العربي و الدرس الحديث :٤٨- ٤٩.

(٦٣)- كتاب سيبويه : ١/١٦١ ،و ٢/٣٩٧ ، و١/٩٤،و٢/١١٨ ،و ١/٣٤، و ١/٢٢٣ ،و٢/١٥٩ ،و٢/٣١٢ ،و ٢/١١٤ ،و٢/١١٨، و٢/١٥٣ ، و ٢/٣١٨ ،و ٢/١٢٤ ،و٣/١٥١.

(٦٤)- جمهرة اللغة /ابو بكر محمد بن الحسن ابن دريد/تحقيق: محمد شمس الدين/ الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت/د.ط/١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م :٢٤٠/١ ،٤٠٠، ١٤٩/٢ ، و١٣١/٢ ،و ٧٧/٢، و ٥٩٨/١ ، و٧٩١/١.

(٦٥)- الألسنيّة المبادئ و الأعلام :١٥٧.

(٦٦)-الألسنية التوليدية و التحويلية (النظرية الألسنية) : ١١٣(نصٌ مترجم).

(٦٧)- ظ: الجملة العربية و المعنى /فاضل صالح السامرائي/الناشر :بلا / د.ط/د.ت:١١-١٢.

(٦٨)- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر/الناشر: دار الفكر - بيروت /د.ط/١٤٠٥هـ :٨/٢٨ .

(٦٩)- ظ: الجملة العربية و المعنى : ١٨ .

(٧٠)-معاني القرآن الكريم/ أبو جعفر النحاس ت(٣٣٨هـ)/ تحقيق: محمد علي الصابوني /دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة /ط١/ ١٤٠٩هـ :١٠٤/٢

(٧١)- ظ: الألسنية التوليدية و التحويلية (النظرية الألسنية) :١٠٤.

(٧٢)- المصدر نفسه .

(٧٣)- مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت(٨٠٨هـ)/ تحقيق: محمد الإسكندراني/الناشر:دار الكتاب العربي-بيروت/ط١/١٤١٧هـ -١٩٩٦م :٥١٣

(٧٤)-مقدمة ابن خلدون : ٥١٣.

(٧٥)- المصدر نفسه .

(٧٦)-الألسنية التوليدية والتحويلية(الجملة البسيطة)/ميشال زكريا/الناشر:المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع-بيروت/ط٢/١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ٧.

(٧٧)-الألسنية التوليدية والتحويلية(الجملة البسيطة):٧.

(٧٨)- البنية التحتية بين عبد القاهر الجرجاني وتشومسكي/ خليل عمايرة /مجلة أقلام /العدد ١: /سنة١٩٨٣: ٨٨-٩٤.

(٧٩)- دلائل الاعجاز : ٨١.

(٨٠)- المصدر نفسه .

(٨١)-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك/بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني/ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/الناشر: دار الفكر - سوريا / د.ط/١٤٠٥هـ ١٩٨٥م:١٥٥/٢.

(٨٢)- دلائل الاعجاز : ٤١٣.

(٨٣)- في نحو اللغة و تركيبها : ٩٦ .
(٨٤)- طبقات فحول الشعراء : ١٤ .
(٨٥)- كتاب سيبويه : ١٣/١ .
(٨٦)- العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية / عبد القاهر الجرجاني / تحقيق :البدراوي زهران /الناشر: دار المعارف –القاهرة /ط٢/ د.ت : ٧٣ .
(٨٧)- ظ: نظرية العامل وما يعمل عمل الفعل / رفعت الناشئ/ الناشر:بلا /د.ط/د.ت:١١ .
(٨٨)- ظ: النحو العربي و الدرس الحديث : ١٤٨
(٨٩)- كان حريٌّ به أن يقول: (بعدها) ،لا باعتبارها لان الاخيرة من العَبْرَة
(٩٠)- النحو العربي و الدرس الحديث : ١٤٨
(٩١)- المصدر نفسه .
(٩٢)- ظ : المبحث الاول من هذه الدراسة (القواعد الكليّة)
(٩٣)- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/لابن هشام الانصاري /تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/الناشر: مطبعة المدني-القاهرة/د.ط/د.ت: ٦٧٤/٢.
(٩٤)- مغني اللبيب : ١٠/١-١١.
(٩٥)- نظريّة النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث/ نهاد الموسى /الناشر: المؤسسة العربية للدراسات و النشر-الأردن/ط١/١٤٠٠هـ -١٩٨٠م:٥٤- ٥٥.
(٩٦)- المصدر نفسه : ٥٥(تتمة الهامش رقم ٣٠)
(٩٧)- ظ: من أسرار العربية / الناشر : المكتبة الأنجلو المصريّة /ط٨/٢٠٠٣م: ١٦٩.
(٩٨)- ظ: المصدر نفسه : ٢١٥.
(٩٩)- المصدر نفسه : ٢٠٢.
(١٠٠)- دراسات في علم اللغة / كمال بشر /الناشر:دار المعارف –مصر/ط٩/١٩٨٦: ٤٦.
(١٠١)- ظ: المصدر نفسه : ٣.
(١٠٢)- ظ: اللغة العربية معناها ومبناها/ تمام حسان/ الناشر:دار الثقافة-الدار البيضاء/د.ط/ج.ت.
(١٠٣)- ظ: الخلاصة النحوية /تمام حسان/الناشر: عالم الكتب- القاهرة/ط١/١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
(١٠٤)- دراسات في اللسانيات : ١٦٥.
(١٠٥)- ظ: المصدر نفسه : ١٨١ وما بعدها .

(١٠٦)- النحو العربي و الدرس الحديث : ١٤٠ .
(١٠٧)- المصدر نفسه : ١٤٢وما بعدها .
(١٠٨)- ظ: البنية التحتية بين عبد القاهر و تشومسكي :٨٨-٩٤ .
(١٠٩)- ظ: مناهج البحث اللغوي : ١٨٨ وما بعدها
(١١٠)- ظ: Al-Jurjani's Theory of poetic Imagery (نظرية الجرجاني عن التخييل الشعري)(رسالة دكتوراه)/كمال أبو ديب/جامعة أكسفورد – بريطانيا/١٩٧٩م : ٢٩(الهامش رقم ٢١) ،و٣٣(الهامش رقم ٣٦) ،و٣٩(الهامش رقم ٦٥)،و٥٧، وظ: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين : الحلقة الرابعة .
(١١١)- المصدر نفسه : ٥٧، وظ: تشومسكي في عيد ميلاده السبعين : الحلقة الرابعة(الترجمة للدكتور حمزة بن قبلان المزيني) .
(١١٢)- هو أنطوان إيزاك سيلفستر دي ساسي ، مستشرق فرنسي ولد في باريس سنة ١٧٨٥م ،ودرس في دير هناك اللاتينية واليونانية و تخصص بالعربية و الفارسية ،ويعد مؤسسا للجمعية الاسيوية وأول رئيس لها ،وقد ترجم كثيرا من الكتب العربية الى الفرنسية منها كليلة و دمنة و عدّة شروح لكتب النحو وغيرها ، توفي سنة١٨٣٨م .
(١١٣)- ظ: مدخل إلى علم اللسان الحديث/عبد الرحمن الحاج صالح/مجلة اللسانيات/المجلد الثاني/١٩٧٢م: الباب الأول/٩-١٠، وظ:نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث: ٥٥.
(١١٤)-عَدّ الدكتور خليل أحمد عمايرة (الفطرة اللغويّة) النقطة الرئيسة في نظريّة تشومسكي ، وهي التي قادت تفكيره إلى ما تبعتها من أفكار ، ظ: في نحو اللغة و تراكيبها :٥٥.
(١١٥)- نظريّة النحو العربي: ٤٥- ٥٥.
(١١٦)- منهج البحث اللغوي بين التراث و المعاصرة / علي زوين/الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة /وزارة الثقافة والإعلام/١٩٨٦م:٤٤.
(١١٧)- فرانز روزنتال ولد في برلين بألمانيا سنة ١٩١٤م ، والتحق بجامعة برلين عام ١٩٣٢ حيث درس الحضارات و اللغات الشرقية ، وفيها حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٣٥م، ثمّ رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٠م ليعمل أستاذا للغات السامية في كلية الاتحاد العبري في سنساتى بولاية أوهايو ،ثم درّس اللغة العربية في جامعة بنسلفانيا في سنة ١٩٥٦م.
(١١٨)- كان حريٌّ به استعمال الواو في العطف لان (كما) ليست عاطفة .
(١١٩)- الأصح استعمال (مدّة) بدلاً عن (فترة) لان الأخيرة من الفتور .

(١٢٠)- مصطلح يطلق على المدّة المحصورة بين وفاة المسيح و الثورة الصناعية في أوربا في القرن السابع عشر الميلادي ،ويريد به مؤلفه هنا القرنين الثاني و الثالث الهجريين على وجه التحديد ، لكون تشومسكي درس كتاب سيبويه في ذلك الوقت .

(١٢١)- البلاغة العربية قراءة أخرى/ محمد عبد المطلب/الناشر: الشركة المصرية العالمية للنشر-مصر/ط٢/٢٠٠٧م: ٩٠.

(١٢٢)- تشومسكي في عيد ميلاده السبعين/(الحلقة الخامسة) الخميس ١٩٩٨/١١/١١م (الترجمة للدكتور حمزة المزيني).

(١٢٣)- أسئلة اللغة - أسئلة اللسانيات/حافظ اسماعيلي علوي و وليد أحمد العناتي/الناشر:الدار العربية للعلوم-بيروت/ط١/١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م : ٤٠ .

(١٢٤)- أسئلة اللغة – أسئلة اللسانيات : ٥٦ .

(١٢٥)-أسئلة اللغة – أسئلة اللسانيات :.

(١٢٦)- تشومسكي في عيد ميلاده السبعين: الحلقة الخامسة /١٤٢٠/١١/١١هـ -١٩٩٨م .

(١٢٧)- كان الأفضل أن تترجم الى (طيات) لان الثنايا أصول الاسنان ، ظ: لسان العرب :١٤/١٢٣(مادة ثني)

(١٢٨)- قضايا اساسية في علم اللسان الحديث/ مازن الوعر/الناشر: دار طلّاس للدراسات و النشر-دمشق/ط١/١٩٨٨م: ٣٦٠.

(١٢٩)- إعادة وصف اللغة العربية ألسنيّاً / تمام حسان/سلسلة اللسانيّات و اللغة العربيّة / الناشر:مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية و الاجتماعيّة- تونس/١٩٧٨م: ١٨٤.

(١٣٠)- تشومسكي في عيد ميلاده السبعين: الحلقة الرابعة/١٤٢٠/١٠/١٧ه -١٩٩٨م.

(١٣١)- التفكير اللغوي في الحضارة العربية/عبد السلام المسدي/الناشر: دار الكتاب الجديدة المتحدة- بنغازي/ط٣/٢٠٠٩م :٣٤.

(١٣٢)- ظ: المصدر نفسه : ٣٥.

(١٣٣)- التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٣٥.

(١٣٤)- الدكتور حمزة بن قبلان المزيني .

(١٣٥)- تشومسكي في عيد ميلاده السبعين : الحلقة الخامسة /١٤٢٠/١١/١١هـ -١٩٩٨م .

(١٣٦)- لم يؤلف اليهود كتباً علمية في قواعد لغتهم الا بعد أن تتلمذوا للعرب تلمذةً مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف انواعها ، فظهر في أواخر القرن التاسع الميلادي سعيد بن يوسف الفيومي ، فكان أول النحاة العبريين الذين وضعوا قواعد النحو العبري على غرار قواعد اللغة العربية ، و يعدّه النحاة اليهود أباً للنحو العبري

، ثم تبعه نحاة اليهود وحذوا حذوه في ذلك . ظ : دروس في اللغة العبرية / ربحي كمال/الناشر :مطبعة جامعة دمشق /ط٣/١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م :٤٦ .

(١٣٧)- المصدر نفسه .

(١٣٨)- تشومسكي في عيد ميلاده السبعين : الحلقة الخامسة /١١/١١/١٤٢٠هـ -١٩٩٨م .

(١٣٩)- ظ: دراسات لسانية تطبيقية /مازن الوعر/الناشر :دار طلاس- دمشق/ط١/١٩٨٩م :٢٩٨.

(١٤٠)- ظ: المصدر نفسه : ٣٠٨ .

(١٤١)- ظ: الفهرست :٧٦/١.

(١٤٢)- ظ: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب/ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي/الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت /ط١/ ١٤١١ هـ - ١٩٩١م :٣٥٣/٢.

(١٤٣)- ظ : جذور النظرية التوليدية التحويلية في كتاب سيبويه(رسالة ماجستير) /جابر عبد الأمير جابر /إشراف :د.خولة تقي الدين الهلالي / كلية الآداب – جامعة بغداد /٢٠٠٣م .